

إشكالات منهجية حول تأليف النحو التعليمي قديما وحديثا

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present*iishkalat manhajia hawl talif alnahw altaelimii qadiman wahadithan*¹ حميد الفاطمي*

مختبر الأدب والبناء الحضاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، الرمز البريدي 60000،
المملكة المغربية.

¹ELFATMI Hamid

Laboratory of Literature and Civilizational Construction Faculty of Letters and Human Sciences,
Muhammad I University, OUJDA 60000, MOROCCO

 elfatmihamid098@gmail.com
ORCID ID : <https://orcid.org/0000-0003-2794-0054>

تاريخ النشر: 2021/05/15 تاريخ القبول: 2021/03/20 تاريخ الاستلام: 2021/02/02

لتوثيق هذا المقال: أسلوب إيزو 690-2010

الفاطمي، حميد، ماي 2021. إشكالات منهجية حول تأليف النحو التعليمي قديما وحديثا. مجلة التراث، المجلد 11، العدد 02، من ص 88، إلى ص 110. [E-ISSN 2602-6813 ISSN: 0339-2253].

TO CITE THIS ARTICLE: Style ISO 690-2010

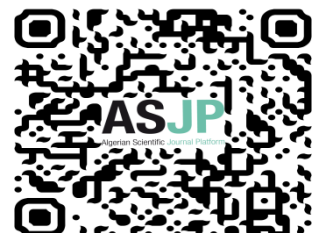
ELFATMI, Hamid, May 2021. Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present. *AL TURATH Journal*. volume 11, issue 02, P 88, P110. [ISSN: 0339-2253 E-ISSN. 2602-6813].

تنبيه:

ما ورد في هذه المجلة يعبر عن آراء المؤلفين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة وتخضع كل منشورات للحماية القانونية المتعلقة بقواعد الملكية الفكرية، ويحمل أصحابها فقط كل تبعات مؤلفاتهم.

**Attention:**

What is stated in this journal expresses the opinions of the authors and does not necessarily reflect the views of the editorial board or university. All publications are subject to legal protection related to intellectual property rules, and their owners only bear all the consequences of their literature.

Open Access Available On:<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323>

المؤلف المرسل: حميد الفاطمي، البريد الإلكتروني: elfatmihamid098@gmail.com

يتمحور بحثي هذا حول مشكلة: التأليف النحوي التعليمي قديما وحديثا، ويركز على كيفية تنزيل النظرية النحوية بأبوابها الكبرى ومواضيعها الأساسية في التأليف، أي ما هو التصور الذي يوجه المؤلف في تأليفه؟ وبماذا يبدأ؟ وأي منهجية يتبع في ترتيب الأبواب...؟

وذلك من خلال تتبع دروس النحو في كتب النحو التعليمية القديمة، ونماذج من الكتب التعليمية الحديثة (خاصة الكتب الموجهة للمتعلمين في المدارس العمومية).

أما المنهج الذي اتبعه في بحثي هذا، فهو منهج وصفي تحليلي مقارنة، بحيث قمت بوصف مَنَهَجِيَّ التأليف القديمة والحديثة، وحللت أسسهما وتصوراتهما ونظامهما، ثم قارنت بينهما، مستخلصا مجموعة من الاستنتاجات التي ختمت بها بحثي. وقد قسمت هذا العمل إلى مبحثين وأربعة مطالب؛ عاجلت في المبحث الأول: النحو العربي بين العلمي والتعليمي، وناقشت في المبحث الثاني: منهجية التأليف في النحو التعليمي قديما وحديثا.

وفي الأخير استخلصت بعض الإشكالات المنهجية التي يثيرها تأليف النحو التعليمي قديما وحديثا، وتوصلت في النهاية إلى تقديم مقترحات لعل أهمها:

ضرورة التعامل مع النحو باعتباره نظرية متكاملة، وبناء متماسكا، فلا يُقبل من ثم تنزيل مواضيعه في المقررات الدراسية تنزيلا عشوائيا مبغثا يُشوّش على المتعلم أخذ تصور صحيح وواضح عن النحو باعتباره نظرية متكاملة.

كلمات مفتاحية: النحو التطبيقي؛ النحو النظري؛ المتعلم؛ التأليف؛ الكتاب المدرسي.

تصنيفات JEL : I21 ,A33 ,C18

Abstract:

My research paper discusses the issue of grammar books in formal education between the past and the present. And it also focuses on the manners of considering and dealing with syntactic structures when composing a grammar book. In other words, what guidelines the writer is abode by when composing.

This research is based on a profound study and analysis of ancient and modern educational grammar books.

Concerning the methods I adopted in conducting my research are descriptive, analytical, comparative methods.

I divided my research into two main parts and four subdivisions. In the first part I discussed: Arabic grammar from a scientific and from an educational perspective.

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

In The second part I shed light on the methodology of writing educational grammar between past and present

In the end, I extracted some of the methodological problems raised by composing educational grammar, in the past and present,.

Based on those conclusion I came up with some suggestions

It is important to consider grammar as a coherent theory and well organized structure . Otherwise it may cause confusion from the side of learners and consequently affects the learning process negatively.

Keywords: Applied grammar; theoretical grammar; The learner; Writing; school book.

JEL Classification Codes: C18 ,A33 ,I21

Résumé:

Ma recherche ici rapportée à examiner le problème de "la rédaction grammaticale éducative entre le passé et le présent "

Et il se concentre sur la façon comment transférer les grammaires dans la rédaction. C'est à dire quelle est la perception qui guide l'auteur dans sa rédaction?

La réalisation de ce travail est faite en suivant des cours de grammaire éducatifs classique et en prenant quelques échantillons de manuel et livres éducatifs modernes.

J'ai adopté dans cette recherche une approche analytique descriptive comparative.

Le travail qui suit est divisé en deux parties et quatre chapitres; la première partie traite le thème "la grammaire arabe entre le scientifique et l'éducatif" et la deuxième partie aborde le sujet " la méthodologie de la rédaction de la grammaire éducatifs entre le passé et le présent "

J'ai extrait dans cette recherche certains problèmes qui soulèvent à la méthodologie de la rédaction grammaticale éducatifs entre le passé et le présent, et je suis arrivé à la fin de ce travail à présenter des propositions dont les plus importants sont:

-la nécessité de traiter la grammaire comme une théorie complète pour à prendre une conception correcte et claire sur "la grammaire ".

Mots clés: Grammaire appliquée; Grammaire théorique; L'apprenant; Rédaction; livre scolaire.

JEL Classification Codes: C18 , A33, I21

يتمحور هذا البحث حول إشكالية التأليف النحوي التعليمي قديما وحديثا، ويركز على كيفية تنزيل النظرية النحوية بأبوابها الكبرى ومواضيعها الأساسية في التأليف، أي ما هو التصور الذي يوجه المؤلف في تأليفه؟ وبماذا يبدأ؟ وأي منهجية يتبع في ترتيب الأبواب؟ وما هي المعايير المراعاة في تقديم هذا الموضوع على ذاك؟ وهل يراعى مستوى المتلقي ونوعه في هذا التأليف؟

ومع أن هناك دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع، إلا أنها دراسات تركز على الجانب الديدانكتيكي في تعليم النحو في المدارس، وتصبّ جل اهتمامها على كيفية تقديم الدرس في الحصة الواحدة، والأهداف المرسومة لذلك الدرس، وطرق نقله إلى المتعلم، ورصد الصعوبات التي تعترض الأستاذ والتلميذ معا في هذه العملية¹...

أما موضوع بحثي فقد تناولته من زاوية أخرى أعم، إذ بحثت في موضوع (إشكالات منهجية حول تأليف النحو التعليمي قديما وحديثا)، على افتراض أن النحو نظرية متكاملة لا تقبل التجزئ، وأن الجانب المنهجي في تقديم أبواب النحو للناشئة، مهم وأساسي في إيصال الفكرة وتحصيل القاعدة، مقارنة في ذلك بين التأليفين التعليميين القديم والحديث.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، وجدت نفسي مضطرا إلى تتبع دروس النحو في كتب النحو التعليمية القديمة، ونماذج من الكتب التعليمية الحديثة (خاصة الكتب الموجهة للمتعلمين في المدارس العمومية)²؛ لأكشف عن أوجه الاختلاف والائتلاف بين النظامين التأليفين، وأستخلص بعض الإشكالات المنهجية التي يثيرها تأليف النحو التعليمي قديما وحديثا. لأصل في النهاية إلى تقديم مقترحات من أجل تأليف يأخذ من النموذج التقليدي ما يفيد ويقتبس من الحديث ما ينفع.

أما المنهج الذي اتبعته في بحثي هذا، فهو منهج وصفي تحليلي مقارنة، بحيث قمت بوصف منهجَي التأليف القديمة والحديثة، وحللت أسسهما ونظامهما، ثم قارنت بينهما؛ وخلصت إلى نتائج واقتراحات، وبناء عليها إلى توصيات.

أما الخطة الأولية التي بنيت على منوالها بحثي فهي: تقسيم العمل إلى مبحثين وأربعة مطالب، بدأتها بمبحث بعنوان: النحو العربي بين العلمي والتعليمي، أبرزت فيه الفرق بين النمطين، وقسمته إلى مطلبين:

المبحث الأول: النحو العربي بين العلمي والتعليمي

المطلب الأول: كيف تشكلت النظرية النحوية العربية بشقيها؛ العلمي والتعليمي

المبحث الثاني: منهجية التأليف في النحو التعليمي قديما وحديثا

المطلب الأول: إشكالات التأليف المنهجية، في الكتب التعليمية القديمة

المطلب الثاني: إشكالات التأليف النحوي المنهجية في الكتب التعليمية الحديثة

وختمت البحث بخلاصات واستنتاجات واقتراحات لعل أهما: ضرورة التعامل مع النحو باعتباره نظرية متكاملة، وبناء متماسكا، فلا يُقبل من ثمّ تنزيل مواضيعه في المقررات الدراسية تنزيلا عشوائيا مبعثرا يُشوّش على المتعلم أخذ تصور صحيح وواضح عن النحو باعتباره نظرية متكاملة.

المبحث الأول: النحو العربي بين العلمي والتعليمي

خصصت هذا المبحث لمعالجة قضية النحو العلمي والنحو التعليمي نظرا لأهميتها في الموضوع؛ ذلك أن بعض الباحثين قد يغفلون هذه النقطة ويقعون في أخطاء منهجية ومعرفية حين يخلطون بين النمطين: النحو العلمي النظري والنحو التعليمي التطبيقي، فينادون بتيسير النحو من أجل التعليم، ويتوجهون بأصابع الاتهام لبعض مصنفات النحو العلمي النظري، وفي هذا مجانبة للصواب.

المطلب الأول: كيف تشكلت النظرية النحوية العربية بشقيها؛ العلمي والتعليمي

لعله من المسلم به عند اللغويين واللسانيين قديما وحديثا أن كتاب سيويه يعد بداية حقيقية لتشكيل النظرية النحوية العربية، نظرا لما اتسم به هذا الكتاب من شمولية وعلمية وتكامل، "كتاب سيويه وصل إلينا ناضجا في تأليفه، مكتملا في تحليله اللغوي، شاملا للأسس التي اعتمد عليها الباحثون والدارسون في معرفة قواعد التركيب النحوي للجملة العربية"³. كتاب سيويه إذن، يمثل النظرية النحوية في أبهى تجلياتها؛ فهو بحث في بعض مباحث الأصوات، فضلا عن دراسة وافية للإعراب والصرف، ثم هو نظرية في النحو العلمي ومؤسس للنحو التعليمي، وبما أن الكتاب كان البداية الفعلية للبحث اللغوي العربي فقد كان من الطبيعي أن يتميز بالخلط بين مباحث الصوتية والصرف وغيرها إلى أن يأتي علماء آخرون فيقوموا بالتمييز بين مباحث اللغة المختلفة من حيث المادة، ويميزوا من حيث المنهج بين النحو العلمي النظري والنحو التطبيقي التعليمي. فهل تحقق هذا الأمر مع الذين تلوا سيويه؟

أما على مستوى المادة (أي فصل مادة الصوتية عن مادتي الصرف والنحو، وفصل هذين عن بعضهما)، فقد تحقق في التراث اللغوي إلى حد ما، وإن كان لم يعرف استمرارية واضحة، فقد خلّص ابن جني (ت392) كتب النحو من الأصوات فجعلها مبحثا خاصا، وأفرد لها كتابا مستقلا هو كتاب (سر صناعة الإعراب)، وسماه باسمه الخاص "علم الأصوات"⁴. وفعل الشيء نفسه أبو عثمان المازني (ت247) مع علم الصرف، حيث فصله عن الإعراب في كتاب مستقل سماه (التصريف)، شرحه ابن جني في (المنصف) في ثلاثة أجزاء⁵.

يظهر من خلال النموذجين السابقين كيف تَفَقَّنَ هذان العالمان مبكرا إلى مسألة أساسية في البحث العلمي، وهي تمييز المختلط، وتخصيص كل علم بمصنفاته، ليسهل عليهم إرساء قواعده ومفاهيمه، وإحكام مناهجه وتبويبه، إلا أن هذه الرؤية الواعية الناضجة لم تواصل طريقها الصحيح كما توحى بذلك الحركة التأليفية بعدهما، حيث توقفت دراسة الأصوات عند ما صنعه ابن جني، ولعله لم يظهر بعده كتاب متخصص مثل كتابه -إذا استثنينا كتاب (رسالة أسباب حدوث الحروف) لابن سينا وهو مختصر غير شامل⁶ بل عادت مباحث علم الأصوات لتتناثر مرة أخرى، بين كتب المعاجم والتفاسير والقراءات والنحو وغيرها، كما عاد الصرف مختلطا بالإعراب في جل المصنفات النحوية، وفي أحسن الحالات يمكن القول إن الحركة ظلت متذبذبة، تارة تجدد من يفصل بين الإعراب والصرف كما فعل ابن الحاجب في الشافية (في الصرف)، والكافية (في النحو)، وتارة تجدد من يجمع بينهما مثلما فعل ابن مالك في ألفيته؛ إلا أن الملاحظ هو أن أغلب الكتب التعليمية المختصرة، صارت تقتصر على الإعراب دون الصرف (الملحة للحريري، والأجرومية لابن أجروم، والتفاحة لأبي جعفر النحاس، والجمل للزجاجي، والجمل

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

للجرجاني...)، وإن ظلت هذه المصنفات تسمى نحوية فإن ذلك من باب التغليب، أو بالأحرى من باب التطور الدلالي للمصطلح؛ قال الصبان في هذا المعنى: "اصطلاح المتأخرين، تخصيصه (أي علم النحو) بفن الإعراب والبناء، وجعله قسيم الصرف"⁷، بمعنى أنه صار يطلق النحو فيراد به الإعراب، وإن كان مخالفاً للأصل، وكأنه اتفاق ضمني على الانتقال المفهومي لهذا المصطلح من إطلاقه على ما يشمل الصرف والنحو إلى جعله قسيم الصرف.

أما ما يهمنا في هذا الباب بالذات، فهو النظرية النحوية بالمفهوم الثاني (أي الإعراب)، فهل استطاع علماء النحو التمييز فيه (الإعراب) بين ما هو علمي وما هو نظري؟ وقبل البحث عن الإجابة يتحتم علينا طرح السؤال أولاً ما المراد بالنحو العلمي والنحو التعليمي؟

نقتبس الفرق بين المجالين من (علي أبو المكارم) الذي يقول: "غاية البحث النحوي (أي العلمي)، رصد كافة الظواهر الناتجة عن تركيب الكلمات والمركبات في الجملة، من خلال تحليل استقرائي لنصوص اللغة المقصود وضع القواعد النحوية لها، مع ما يتطلبه ذلك من تصنيف وتفسير... وأما التعليمي فأمره مختلف، إذ إن مهمته تتحدد في تمكين المتعلم من إدراك الظواهر اللغوية المطردة الوجود، الناتجة عن تركيب الجملة العربية والوعي بضوابطها، ثم التمرس باستعمال هذه الضوابط في تحديد ما بداخلها من علاقات"⁸. يتضح من خلال هذا الكلام أن النحو النظري هو دراسة علمية تحليلية للظواهر اللغوية، تعتمد القياس والاستنباط من أجل وضع القواعد وتحليلها وتعليلها، أما النحو التعليمي فهو تقديم تلك القواعد في صورة واضحة، لتساعد المتعلم على تمثل الكلام العربي في حديثه، دون الحاجة إلى ذكر الخلاف والحجاج والتأويل والتعليل...

بعد هذا التمييز بين النحو العلمي والنحو التعليمي، أعود للسؤال السابق: هل استطاع علماء النحو التمييز فيه بين ما هو علمي وما هو نظري في تصانيفهم، على مستوى التنظير والتطبيق؟ أم أن الأمر ظل عندهم مختلطاً كما نشأ أول مرة مع كتاب سيويه؟

لا شك أن الظروف قد حتمت على بعض النحاة -خاصة الذين تولوا مهمة التدريس- البحث عن سبل تيسير المادة واختصارها وتطويعها، لتصبح في متناول طلابهم، وتخليصها مما يعقدها من التعليل والاحتجاج والخلاف، وكثرة التقسيمات والتأويلات.⁹ غير أن هذا الوعي وإن طبقه البعض، فإنه ظل يلفه نوع من الغموض عند البعض كما أشار إلى ذلك محمود سليمان ياقوت "لذلك وقع القدماء في أسره (الكتاب)، ولم يستطيعوا التحرر من تأثيره والفكك من قيده"¹⁰، ولا أدل على ذلك من هذه الحيرة التي يستشعرها القارئ في كلام ابن السراج في مقدمة كتابه الأصول، هل هو يكتب للعلماء أم للمتعلمين! "ولما كنت لم أعمل هذا الكتاب للعالم دون المتعلم، احتجت إلى أن أذكر ما يقرب على المتعلم"¹¹، وقال في موضع آخر: "وذكرنا في كل باب من المسائل مقداراً كافياً، فيه درية للمتعلم ودرس للعالم"¹².

إن كلام ابن السراج هذا ينم عن أمرين:

1 وعيه نظرياً بأن النحو قسمان: قسم موجه للعلماء، وقسم موجه للمتعلمين.

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

2 عدم التخلص كلية من منهج سيبويه، فظل يكتب للعلماء والمتعلمين معا في كتاب واحد، لذلك لا غرابة أن يطول الكتاب ويخرج مطبوعا في ثلاثة أجزاء.

إن هذه الحالة التي وقع فيها مجموعة من النحويين، لا تعني بالضرورة انعدام وجود كتب ميزت فعليا بين النحو العلمي والتعليمي، فاقترنت على النحو التعليمي المحض، فقد ألفت كتب في هذا الباب منذ عصر سيبويه، حيث ألف خلف الأحمر ت180هـ كتابا نحويا تعليميا سماه (مقدمة في النحو)، وكتب بعده الكسائي زعيم الكوفيين (ت189هـ) كتابا مختصرا في الإعراب، وتالت بعدهما كتب نحوية تعليمية كما يظهر من عناوينها مثل: -كتاب التُّفَّاحَةِ في النحو لأبي جعفر النحاس (ت337)، -كتاب الواضح للزبيدي (ت379)، -منظومة مُلْحَةِ الإعراب للحريري (ت516)، -كتاب المُقَرَّب لابن عصفور (ت669)... إلى غير ذلك من المؤلفات التي كان الغرض منها هو تقريب النحو للمتعلمين، وتسهيله بالاختصار على الأهم؛ لأن الهدف من النحو عند هؤلاء كان هو تقويم اللسان، وليس الغرض منه الدراسات النظرية الفلسفية، المثقلة بالتعليقات والتقديرات والتأويلات. ومما يدل على هذا الوعي الذي نضج وجمع بين التصور والتطبيق، ما نجده عند الأزهري في مقدمة شرحه للأجرومية "هذا شرح لطيف لألفاظ الأجرومية في أصول علم العربية، ينتفع به المبتدئ إن شاء الله تعالى، ولا يحتاج إليه المنتهي، عملته للصغار في الفن والأطفال، لا للممارسين للعلم من فحول الرجال"13. من خلال كلام الأزهري يتضح أن الفرق أصبح يَبْيناً عند المتأخرين نظريا وتطبيقيا بين النحو العلمي؛ الذي هو موجه للعلماء المتخصصين، والنحو التعليمي؛ الذي هو موجه للطلاب ومتعلمي العربية.

المطلب الثاني: التأليف النحوي بين العلمي والتعليمي (الخصائص والمميزات)

بناء على ما سبق، يتبين أن النظرية النحوية تنقسم إلى قسمين: نظرية علمية، ونظرية تطبيقية؛ ولتوضيح ذلك أكثر، سأقف عند بعض القضايا التي تميز بين النوعين، انطلاقا من مصنفات نحوية من الضريين: وستركز المقارنة على ما يلي:

أولا: حجم المصنفات

في الغالب ما تكون المصنفات العلمية أكبر حجما من المصنفات التعليمية؛ ولا شك أن هذا الفرق الظاهري يوحى بأن كتب النحو العلمية تهتم بالتطوير والشرح والتقسيم والاستطراد، بخلاف الكتب التعليمية التي تسعى إلى الاختصار وإيراد الحد الأدنى مما يَتَقَوَّم به لسان طالب العربية.

ثانيا: عدد الأبواب

إذا كانت الكتب العلمية من سماتها الشمولية؛ أي الإحاطة بجميع أبواب النحو، فإن الكتب التعليمية لم يكن هدفها حصر جميع الأبواب كما أقرها سيبويه، بقدر ما كان الغرض هو الاختصار على "دراسة مستوى الجملة من حيث الوقوف على الظواهر الناتجة عن تركيب عناصرها فيها"¹⁴، أي أن النحو التعليمي ليس مجبرا بالضرورة على أن يتناول جميع الظواهر اللغوية؛ لذلك سقطت بعض الأبواب النحوية ذات الطابع الإشكالي من المتون النحوية المختصرة مثل باب التنازع والاشتغال.

أما فيما يخص المصطلحات، فليس هناك اختلاف كبير بين كتب النحو العلمي وكتب النحو التعليمي. أما التعريفات، فقد اتخذت عند النحويين أشكالا متنوعة، بين التعريف بالمثال، والتعريف بالعمل، والتعريف بالمعنى، والتعريف بالحكم، والتعريف بالموقع، والتعريف بالميزان الصرفي، والتعريف بالضد، والتعريف بالماهية... فما الأنواع التي غلبت في النحو النظري، وما التي غلبت في النحو التطبيقي؟

إن الكتب التعليمية في الغالب ما كانت تعتمد في التعاريف على الأمور الشكلية الملاحظة ظاهريا، مثل ذكر الخصائص الشكلية للمعرّف أو تقديم أمثلة له، أو بتحديد موقعه في الجملة وحكمه الإعرابي؛ يقول ابن آجروم في تعريف الفاعل: "هو الاسم المرفوع المذكور قبله فعله"¹⁵، كل هذا ليسهل على الطالب استيعاب القاعدة بأيسر الطرق، بعيدا عن التعقيد والتطويل وكثرة التعليل.

رابعا: التعليل والتقسيم

لا شك أن العلل تعد من أهم خصائص النحو النظري العلمي؛ لذلك يُفترض أن تختفي من كتب النحو التعليمية، وبالعودة إلى مظان النحو العلمية، يصادفنا التعليل إن لم نقل في كل لحظة، فعلى الأقل من حين لآخر، فهذا المبرد يعلل دخول الإعراب الفعل المضارع بقوله: "اعلم أن الأفعال إنما دخلها الإعراب لمضارعتها الأسماء، ولولا ذلك لم يجب أن يعرب منها شيء... وإنما قيل لها مضارعة؛ لأنها تقع مواقع الأسماء في المعنى، تقول "زيد يقوم" و"زيد قائم"، فيكون المعنى فيهما واحدا..."¹⁶، ويمتد كلامه عن سبب إعراب الفعل المضارع على مدى صفحة كاملة، في حين نجد ابن آجروم يقول عن الفعل المضارع: "والمضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع التي يجمعها قولك (أنيت)، وهو مرفوع أبدا حتى يدخل عليه ناصب أو جازم"¹⁷. ففي قوله تسهيل واختصار؛ لأن الطالب المبتدئ لا يحتاج إلى هذا الذي سيشغله عن مقصده الأساس وهو تعلم كلام العرب.¹⁸

خامسا: التأويل والتقدير

لعل من أشهر الصور التي تؤكد اعتماد النحو النظري على التأويل والتقدير، ما أفرزته بحوث النحويين فيما يسمى (باب التنازع والاشتغال)، إذ بناء على تحكيم نظرية العامل، وجد النحاة أنفسهم مضطرين في كثير من الأحيان إلى اعتماد التأويل والتقدير، من أجل تخريج بعض الأساليب التي تبدو مخالفة لقواعد الإعمال، ومن أمثلة ذلك: تقديرهم للعامل في (زيदा) في جملة (زيدا ضربته)، أو ما يشبه هذا التركيب، فابن عصفور في كتابه (مُثل المقرَّب)، تطرق لهذا الأسلوب وقال إن الأحسن فيه الرفع درءا لتكلف إضمار الفعل، إلا أنه مع ذلك وسيرا على نهج النحويين جَوَّز فيه النصب "بإضمار فعل يفسره الظاهر من لفظه إن أمكن، وذلك قولك (زيدا ضربته)، أي (ضربت زيदा ضربته)، وإلا فمن معناه، نحو قولك (زيدا ضربت أخاه)، و(زيدا مررت بأخيه)، أي (أهنت زيदा ضربت أخاه)، و(لقيت زيदा مررت به)، و(لايست زيदा مررت بأخيه)"¹⁹. إن هذا التأويل والتقدير لا يحتاجه بالضرورة كل طالب علم؛ لذلك جاءت جل كتب النحو التعليمي خالية من صور التقدير والتأويل إلا ما ندر، أو ما أضافه بعض الشراح.

تعد المسائل الخلافية من القضايا التي تميز النحو النظري عن النحو التطبيقي، ذلك أن تشعب المسائل الخلافية، قد يُقوّت على الطالب تعلّم الكلام العربي، إن لم يُنقّر في هذا العلم أصلاً، لذلك نجد علماء النحو التعليمي تفتنوا لهذا الأمر، فلم يشيروا في كتبهم إلى الخلاف، بل اكتفوا بالمشهور وما عليه الجمهور، أو بما يرجحونه في المسألة المعينة، فهذا ابن قتيبة يقول عن المبتدأ والخبر: "اعلم أن المبتدأ وخبره مرفوعان، والمبتدأ لا بد له من خبر وإلا لم يكن كلاماً، نحو قولك: الله ربنا ومحمد نبينا والإسلام ديننا"²⁰. نلاحظ أنه لا أثر لذكر الخلاف في كلام ابن قتيبة؛ لأنه كلام المعلم الذي يهدف إلى تلقين متعلميه قاعدة نحوية تُسعفهم في إصلاح اللسان، مع التركيز على مفهوم الجملة والكلام التام الفائدة، "والمبتدأ لا بد له من خبر وإلا لم يكن كلاماً". وفي المبتدأ والخبر خلاف كبير حول العامل فيهما كما هو معروف عند النحاة²¹.

نستخلص مما سبق أن الفرق واضح بين النحو العلمي والنحو التعليمي في التراث اللساني العربي، كما نستنتج أن الوعي بالفصل بين المجالين أمر في غاية الأهمية، نظراً لما يوفره علينا من جهد وبحث، ذلك أن البعض قد اختلط عليه الأمر فلم يميز بين المجالين، فصار يدعو إلى تيسير النحو أو تجديده أو تسهيله، والتهويل من صعوبته، وهذه الدعوى -حسب رأبي- دعوة ملغومة لا تخلو من مخاطر ومزالق؛ والدليل على ذلك أنهم يجهلون أو يتجاهلون ما توصل إليه علماء العربية قديماً من نتائج مهمة في مجال تبسيط اللغة للمتعلمين، وأن قضية تيسير النحو وتقريبه إلى المتعلم، قضية قديمة عاصرت سيبويه،²² مما يعني أن لدينا في كتب التراث النحوي صنفين من التأليف:

صنّفٌ يمكن إدراجه ضمن ما يسمى في العصر الحديث بعلم اللغة النظري، وهو الذي نجده في كتاب سيبويه، وبعض كتب ابن جني، وكتب أصول النحو مثل الأصول لابن السراج، أو كتب التعليل مثل كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي... إلى غير ذلك من الكتب النحوية النظرية العلمية.

صنّفٌ ثانٍ يمكن تسميته النحو التعليمي التطبيقي، وهو الذي تمثله الكتابات التي أشرت إليها سابقاً مثل مقدمة خلف الأحمر والتفاحة لأبي جعفر النحاس وملحة الإعراب للحريزي والجملة للجرجاني والآجرومية لابن آجروم...

المبحث الثاني: منهجية التأليف في النحو التعليمي قديماً وحديثاً

ما أقصده هنا ليس تنزيل المواضيع النحوية من الناحية الديدانكتيكية، أي كيف يُقدّم الدرس النحوي في حصة دراسية؛ بل أبحث عن كيفية تنزيل النظرية النحوية بأبوابها الكبرى ومواضيعها الأساسية في التأليف النحوي التعليمي، أي بماذا يُبدأ؟ وأي منهجية تُتبع في ترتيب الدروس؟ وما هي المعايير المراعاة في تقديم هذا الدرس بدل ذاك؟ هل هناك تصور منهجي ما؟ وهل يراعى التدرج من البسيط إلى الصعب أم ما ذا؟

كل هذه الأسئلة سأحاول الإجابة عنها من خلال رصد إشكالات التأليف النحوي التعليمي قديماً وحديثاً؛ لأكشف عن أوجه الاختلاف والائتلاف بين المنهجيتين.

المطلب الأول: إشكالات التأليف المنهجية، في الكتب التعليمية القديمة

لقد سبق وأن تطرقت لخصائص النحو العلمي والنحو التعليمي فتبين أن التأليف في النحو التعليمي تميز بمجموعة من الخصائص على رأسها: الاختصار في المادة، وعدم الاحتفاء بالتعليل وكثرة التقسيمات والتفريعات، والتأويل والتقدير، وذكر المسائل الخلافية... ولعل أهم ما ميز تأليف النحو التعليمي قديماً هو ما يخص المنهج (التبويب) إذ في الغالب ما تُرتب المصنفات النحوية مادتها بتحكيم (نظرية العامل)، فتجد من يرتب تبعاً للعوامل كما فعل الجرجاني مثلاً في العوامل المائة، أو حسب المعمولات كما فعل أغلب النحويين، وهناك من بوب كتابه حسب أنواع الكلام، حيث بدأ بالأسماء ثم الأفعال ثم الحروف، كما فعل الزمخشري في مفصله؛ لكن التبويب الذي يبدو شبه مطرد، هو التبويب الذي يعتمد المعمولات، فيقسم النحو إلى أبواب كبرى، هي: باب المرفوعات، وباب المنصوبات، وباب المجرورات، ثم باب التوابع،²³ ولا يخفى ما لهذا النوع من التبويب من أهمية، بحيث يجمع شتات اللغة العربية في أبواب محصورة، كما يبدو فيه مفهوم الجملة جلياً، بحيث في باب المرفوعات تُدرّس الجملتان الاسمية والفعلية، وفي غيره تُدرس متعلقات الجملتين²⁴، أو ما يسميه النحويون القُضالات.

فتيسير النحو التعليمي إذن لا يحتاج منا إلى الاشتغال عليه من جديد، بقدر ما يتطلب منا قراءة التراث النحوي التعليمي والانتقاء منه ما يُدرّس للناشئة، وأقصد هنا الكتب التعليمية المختصرة الخالية من التعقيدات والتفريعات، والتي تقتصر على الضروري الذي يتقوّم به لسان المتكلم، لامتلاك الحد المطلوب من اللغة. وكمثال على ذلك نجد (متن الأجرومية) لابن آجروم الصنهاجي (ت723هـ) الذي لا يتجاوز عدد صفحاته 25 صفحة، ومع ذلك يُعد خلاصة كافية للمبتدئ في الدراسة النحوية، والدليل على ذلك أن هذا المتن أصبح يدرس في معاهد وجامعات كثيرة، ويدرس في المغرب في المعاهد العتيقة.

فالمفروض إذن، أن يدرس النحو العربي تبعاً لهذا التصنيف والتبويب، فيبدأ المتعلم بمعرفة مقدمات لا بد منها ولا يمكن إتقان النحو بدونها، مثل معرفة الكلام وأنواع الكلمة (الاسم والفعل والحرف)، لما في ذلك من حصر وتنظيم للكلام العربي، بعد ذلك يتعرف المتعلم -دائماً في المقدمة- على الإعراب وعلاماته، والبناء وألقابه، وعلى علامات الرفع وعلامات النصب وعلامات الجر وعلامات الجزم، وأنواع الكلمات التي تلحقها هذه العلامات، وفي هذا الباب سيتعرف ضمناً على الاسم المفرد، وجمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، وجمع المذكر السالم، والأسماء الخمسة، والمثنى والممنوع من الصرف، والأفعال الخمسة، والفعل

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

المعتل الآخر، ويتعرف على ما يعرب بالحركات وما يعرب بالحروف... بعد هذا يأخذ المتعلم نظرة عامة عن المعربات والمبنيات، وأن الأصل في الأسماء الإعراب، والأصل في الأفعال والحروف البناء، ثم يعرف قسمة الأفعال ونواصب المضارع وجوازمه، والأسماء المبنية مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأسماء الشرط وأسماء الاستفهام، ثم يتعرف على المعرفة والنكرة، وأنواع المعارف...

إن هذه المواضيع المتفرقة التي يتطرق لها طالب علم النحو في البدايات قبل مباشرة أبواب النحو الكبرى، وإن كانت تبدو لا أهمية لها لكونها بعيدة عن روح النحو -كما قد يتصور المتلقي-، إلا أنها في الحقيقة أساسية لا يمكن معرفة الإعراب بدونها، ولعل هذا ما قصده الخليل بن أحمد الفراهيدي حين قال: "لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه، حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه"²⁵. فباتقان هذه المقدمات لا يخلط المتعلم بين الاسم والفعل والحرف، وهي من الأخطاء الفاحشة التي أصبحت شائعة بين متعلمي اليوم، ولا يخلط بين علامات الإعراب وعلامات البناء، ولا يخلط بين ما يعرب بالحركات وما يعرب بالحروف، وعندما يصل إلى باب المبتدأ فيسمع أن الأصل في المبتدأ التعريف، يدرك ما المقصود بالمعرفة، لذلك لا غرابة أن تجد اليوم من بين المتعلمين من تسأله عن إعراب اسم في سلسلة كلامية (وهو في حالة النصب)، فيجيبك بأنه فاعل أو مبتدأ؛ لأن التصور الأولي لم يتشكل بوضوح لدى هذا المتعلم نظراً لتلقيه أبواب النحو مختلطة بعضها ببعض، وهكذا...

بعد هذه المقدمات، ينتقل المتعلم -دائماً وفق منهجية التأليف القديمة- إلى دراسة أبواب النحو الكبرى سيراً على التبويب الذي ارتضاه أغلب النحاة، فيشرع في دراسة المرفوعات، فيبدأ بالجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) ومتعلقاتها، فيدرس المبتدأ والخبر ثم النواسخ، ويركز على الأهم، فيدرس كان وأخواتها، وإن وأخواتها، وظن وأخواتها، ثم ينتقل إلى الجملة الفعلية فيدرس الفاعل ونائبه، وينتقل مباشرة إلى المنصوبات، فيدرس متعلقات الجملة الفعلية من مفاعيل وحال وتمييز واستثناء ومنادى، ثم ينتقل إلى دراسة المجرورات بالحرف وبالإضافة، ثم يختتم بالتوابع.

وبهذا يكون المتعلم قد اكتسب الحد الأدنى من المعرفة النحوية، ويستطيع تجاوز لحن اللسان ولحن القلم، وتكون هذه بداية لمن أراد أن يتوسع في النحو، وكافية لمن أراد أن يعرف الضروري من النحو الذي لا يعذر أحد بجهله.

إن ترتيب أبواب النحو وفق هذه المنهجية، لا شك مبني على إدراك علماء النحو ما لإحكام التبويب والترتيب من أهمية كبرى في تقريب هذا العلم إلى طلابه، علماء ومتعلمين، ودوره في تسهيل استيعاب أحكامه بكل يسر. وبهذا أفترض أن من المشاكل التي تعترض طلاب علم النحو، الخلط بين مواضيعه، وعدم السير على نهج النحويين في ترتيب أبوابه، إذ لا يُعقل أن يفهم الطالب درس الفاعل أو المبتدأ والخبر، دون معرفة أقسام الكلام وعلامات الإعراب وأنواعها، والمعرّب والمبني والمعرفة والنكرة... لذلك بيّن بعض النحويين في مقدمات كتبهم أهمية المنهج في التبسيط والتسهيل، وتقريب العلم إلى طلبته، يقول كمال الدين الفرخان في مقدمة كتابه (المستوفى في النحو): "... فإني لما تصفحت عامة الكتب المصنفة في النحو وجدت موجزها يقصر عن الواجب فيه، ومبسوطها يربي على المحتاج إليه منه. ومع هذا فإن أكثرها كان مشوشاً في ترتيبه، وغير أنيق في تقسيمه وتبويبه"²⁶.

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

إن تلقي النحو وفق هذا المنهج التألفي يمكن المتعلم من تمثل النحو تمثلا صحيحا يمهده بآليات الانطلاق في مسيرة التعلم الذاتي، كما يزوده بالحد الأدنى الذي لا يعذر طالب العلم بجهله؛ لأن النحو قد قُدم إليه وفق منهج منظم تنظيميا محكما: يبدأ بالمقدمات الأساسية، وينتقل إلى الأبواب النحوية الضرورية، مبتدئا بالمرفوعات، ثم المنصوبات، ثم المحرورات، وبهذا يكون متميزا بالتدرج والانتقال من العام إلى الخاص، ومن الأدوات إلى البناء، ولعل أهم كتاب نحوي تعليمي جادت به قريحة علمائنا قديما، هو متن الآجرومية؛ نظرا لما لاقاه من قبول واستحسان وصار مقررا في أغلب المدارس قديما وحديثا، وإن كان يحتاج في التبويب الداخلي إلى قليل من التعديل والتصويب، فمثلا في باب المرفوعات كان الأولى أن يبدأ بالجملة الاسمية (المبتدأ والخبر ومتعلقاتهما)، ويؤخر الفاعل؛ لأن علاقته بالمنصوبات (خاصة المفاعيل) أقرب، كما أن التوابع الأولى فيها أن تؤخر؛ لأنها توابع للمنصوبات والمحرورات أيضا، وحقُّ التابع أن يتأخر في الترتيب عن المتبوع، في حين أن ابن آجروم ذكرها مباشرة بعد المرفوعات، هذا فضلا عن فصله في باب المنصوبات بين المفاعيل، حيث درس المفعول به والمفعول معه والمفعول فيه، ثم انتقل إلى ما يسميه بعض النحويين أشباه المفاعيل؛ من حال واستثناء ومنادى... قبل أن يعود إلى المفعول من أجله والمفعول معه...

أخيرا، يمكن القول إن النظرية النحوية عموما تخضع لمنهج خاص وفق التأليف المتعارف عليه في التراث، تبدأ بالمقدمات ثم تتناول المرفوعات ثم المنصوبات ثم المحرورات ثم التوابع، وكل تقدم أو تأخير في ذلك قد يكون له الأثر السلبي على التحصيل والفهم.

المطلب الثاني: إشكالات التأليف النحوي المنهجية في الكتب التعليمية الحديثة

بعد أن بينت في المطلب السابق خصائص المنهج التألفي في النحو التعليمي في التراث العربي الإسلامي، أنتقل في هذا المطلب إلى رصد خصائص التأليف في النحو التعليمي حديثا، وسأركز على التأليف الموجهة للمتعلمين في المدارس العمومية في المملكة المغربية.

يجب التنبيه أولا إلى أن التعليم العمومي في المغرب لا يتعامل مع النحو باعتباره مادة مستقلة، لها غلافها الزمني الخاص، وكتاب مقرر خاص، بل يُدرس النحو ضمن مكونات مادة اللغة العربية عموما، إلى جانب النصوص القرائية والظواهر الصرفية واللغوية إجمالا؛ لكن مع ذلك، إذا تتبعنا حضور أبواب النحو في الكتب المدرسية على مدى السنوات: الرابعة، والخامسة، والسادسة من السلك الابتدائي، وسنوات السلك الإعدادي الثلاث، سنلاحظ أن متعلم المدرسة العمومية يتلقى جل أبواب النحو الأساسية، من أجل تحقيق أهداف عامة في نهاية سلك التعليم الابتدائي مثل: "تحقيق كفايات تواصلية أساس، مع القدرة على توظيفها في وضعيات مبسطة، واكتساب رصيد لغوي ومعرفي ومهاري، يؤهل التلميذ لاستيعاب مختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية واتخاذ مواقف منها... والقدرة على التعبير السليم باللغة العربية"²⁷.

والذي يهمنا هنا، هو البحث عن كيفية تنزيل النظرية النحوية منهجيا في هذه المقررات، أتمّ تنزيلها وفق ما استقر عليه التأليف النحوي القديم؟ أم وفق طريقة أخرى مختلفة؟

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

بالرجوع إلى المناهج والتوجيهات التربوية الخاصة بمادة اللغة العربية في التعليم العمومي، يلاحظ أن هذه التوجيهات لا تشير إلى الأساس الذي تم ترتيب الدروس النحوية وفقه، أَيْتم وفق الترتيب المعروف عند النحويين العرب، أم وفق ترتيب جديد يراعي أسساً أخرى؟

تجدر الإشارة إلى أنه تم تعديل المقررات الدراسية الخاصة بالسنوات الأربع الأولى من التعليم الابتدائي، بناءً على ما جاء في القانون الإطار حول "مراجعة الكتب المدرسية"²⁸، و"إعطاء الأولوية للدور الوظيفي للغات المعتمدة في المدرسة"²⁹، بحيث تم حذف الدروس النحوية من السنة الثالثة ابتدائي، وأُكْتُفِيَ بتصريف قواعدها بشكل مضمّر في النصوص المقرّوة. وفي مقرر السنة الرابعة ابتدائي، الذي طُبع سنة 2019³⁰، نجد تقليص عدد الدروس النحوية، إذ اقتصر المقرر الجديد على الأبواب التالية:

دروس التراكيب (النحو) في كتاب السنة الرابعة من التعليم العمومي:

-عناصر الجملة الفعلية

-عناصر الجملة الاسمية

-نواسخ الجملة الاسمية

-الفعل اللازم والمتعدي

-الفاعل الظاهر والضمير

-المفعول به الظاهر والمضمّر

-نصب الفعل المضارع

-جزم الفعل المضارع

-كان وأخواتها

-إن وأخواتها

-العطف بالواو والفاء وثم.

بمعنى أنه تم حذف: المفعول المطلق والمفعول لأجله، والنعت، والحال، والمبني والمعرب من الأسماء، والمبني والمعرب من الأفعال، وإعراب المثنى، وإعراب جمع المذكر السالم.

وإذا كان من حسنات هذا المقرر الجديد أنه قلص عدد الدروس النحوية، وبسّط تقديمها للمتعلم، فإنه لم يأت بأي جديد بخصوص ترتيب الدروس وفق رؤية علمية واضحة.

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

دروس التراكيب (النحو) في كتاب السنة الخامسة³¹ من التعليم العمومي:

-الجملة الاسمية (أنواع الخبر)

-كان وأخواتها

-إن وأخواتها

-اللازم والمتعدي

-المفعول المطلق

-المفعول لأجله

-المفعول فيه

-الحال المفرد

-النعت الحقيقي

-التوكيد

-نائب الفاعل.

دروس التراكيب (النحو) في كتاب السنة السادسة³² من التعليم العمومي:

-نصب المضارع الصحيح والجملة المؤولة

-جزم المضارع الصحيح والجملة الشرطية

-الأفعال الخمسة

-الأسماء الخمسة

-إعراب المثني

-جمع المذكر السالم

-إعراب جمع المؤنث السالم

-التوكيد

-الحال والجملة الحالية.

دروس النحو في برامج سنوات الإعدادي الثالث من التعليم العمومي:

إجمالاً، يمكن القول: إنه في السنة الأولى³³ من التعليم الثانوي الإعدادي يتم التركيز على ما يتعلق بدرس الإعراب والبناء والمعرفة والنكرة، بالإضافة إلى أحوال المبتدأ والخبر، واللازم والمتعدي، والمبني للمجهول.

وفي السنة الثانية³⁴: المثنى وإعرابه، جمع لمذكر السالم وإعرابه، جمع التكسير، الفاعل: الإضمار الواجب والجائز، وكل المنصوبات، والتوابع.

وفي السنة الثالثة³⁵: يتم التركيز على المشتقات وعملها، وبعض الأساليب (التعجب والمدح والذم والندبة والاستغاثة والتحذير والإغراء والاستفهام والاختصاص).

هكذا تنتهي دروس النحو مع السنة الثالثة إعدادي، وتختفي في برامج السلك الثانوي التأهيلي الذي تحضر فيه بعض مواضيع البلاغة والعروض في الشعبة الأدبية، وبعض مواضيع البلاغة والصرف في الشعبة العلمية.

بعد هذه الجولة الواصفة لحضور مواضيع النحو في المؤلفات المدرسية في التعليم العمومي الحديث، يمكن تسجيل ملاحظة في غاية الأهمية، هي أن هذه الكتب تجاوزت التبويب المعتاد الذي كاد يتفق عليه النحويون. فإذا أخذنا مثلاً ترتيب الدروس النحوية في كتاب السنة الرابعة ابتدائي، سنلاحظ الاختلاف الحاصل بين الترتيب المعهود، والترتيب الموجود في الكتاب المدرسي، فقد بدأ المقرر بما كان يجب أن يؤخر، مثل: عناصر الجملة الفعلية وعناصر الجملة الاسمية، لأن دراسة المبتدأ والخبر (الجملة الاسمية) والفاعل ونائبه (الجملة الفعلية)، يتطلب أن يلم المتعلم بمكتسبات قبلية تساعد على الفهم، كأن يتعرف على المعرفة والنكرة من الأسماء؛ لأن الأصل في المبتدأ التعريف والأصل في الخبر التنكير، وأن يتعرف على المبني والمعرّب من الأفعال، ونواصب المضارع وجوازمه، وأن يتعرف على علامات الإعراب وألقاب البناء... كما أنه تم الفصل بين بعض المتلازمات مثل: الفصل بين عناصر الجملة الاسمية، وكان وأخواتها، وإن وأخواتها، والفصل بين الفاعل ونائبه، وتم إقحام العطف منفرداً في هذا الكتاب مع أنه يندرج ضمن التوابع. وبهذا يكون ترتيب الدروس قد عرف نوعاً من الاضطراب والخلل، لكونه لم يعتن بالمقدمات الأساسية مثل: أقسام الكلام، والمعرّب والمبني، والمعرفة والنكرة... كما أنه لم يستوف الحديث وبالترتيب عن الجملة الاسمية ونواصبها، قبل أن ينتقل إلى المفاعيل، ثم ينتهي بالمجرورات والتوابع.

وفي كتاب السنة الخامسة نجد دروس: الحال المفرد والنعت الحقيقي والتوكيد ونائب الفاعل بهذا الترتيب والتتابع، ولا ندري ما هو المعيار المتبع في اختيار هذا الترتيب بدل التبويب المعروف عند النحويين؟ وما علاقة الحال بالنعت والتوكيد؟ وما علاقة هذين بنائب الفاعل؟ وما هو المقياس المنطقي والمنهجي الذي رُتّب وفقه هذه المواضيع بهذه الطريقة؟ ولماذا أُخّرت دروس الأسماء الخمسة والأفعال الخمسة والمثنى والجموع إلى السنة السادسة مع أنها دروس كان يجب أن يبدأ بها المبتدئ؟ وما مسوغ إدراج التوكيد (مفرداً) بجوار التمييز والحال؟

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

يتضح إذن أن تنزيل النظرية النحوية في كتب التعليم العمومي الحديثة ظل مشوش الترتيب، غير مبني على أي معيار، ويحتاج إلى ترتيبه وفق النظام الذي أقره التأليف النحوي القديم، ليس لأن القديم دائماً يكون جيداً، وإنما لأن ذلك التبويب وذلك الترتيب، روعي فيهما التدرج من المقدمات إلى الأبواب، وهو ترتيب صالح للتعليم، ومساعد على استيعاب أبواب النحو بكل يسر؛ فقد عاب بعض النحويين ما اتسمت به مجموعة الكتب من تشويش في الترتيب والتبويب³⁶، وأشادوا بنجاعة تدريس النحو وفق الترتيب المعروف، فهذا شوقي ضيف يُقرّ بأنه تعلم النحو انطلاقاً من متن الأجرومية، ولم يذُر عليه العام حتى كان قد "عرف النحو معرفة واضحة"³⁷، ويتحسر على إخلال التعليم الحديث بالتبويب القديم، ويعتبره سبباً في تراجع مستوى المتعلمين في النحو، يقول: "كأنما عقود المتراصة المتناسقة في هذه المتون، نقضتها أو نشرتها الطرق التربوية الحديثة، فسقطت بعض حباتها أو ضلت مكانها، أو بدّل موضعها، فضاع من التلاميذ في المدارس سياق النحو ونسقه القديم، وأصبح من المتعذر على (المتعلمين) أن يتقنوه فهما وعلماً"³⁸

خاتمة

نستنتج أن النحو ينقسم إلى نظري وتعليمي؛ ويقصد بالنحو النظري: الدراسة العلمية التحليلية للظواهر اللغوية، التي تعتمد القياس والاستنباط، من أجل وضع القواعد وتعليلها، وهو نحو العلماء والمتخصصين، أما النحو التعليمي، فهو تقديم تلك القواعد في صورة واضحة، لتساعد المتعلم على تمثل الكلام العربي في حديثه، دون الحاجة إلى ذكر الخلاف والحجاج والتأويل والتعليل.

وهذا الفرق صار واضحاً في التراث اللساني العربي، حيث ظهرت منذ الزمن المبكر كتب تمثل النموذجين. وأهم ما يميز النحو التعليمي عن النحو العلمي هو: الاختصار في المواضيع، والاقتصار على الأبواب الأساسية، وتبسيط التعاريف باعتمادها على المثال والموقع، وقلة التعليقات والتقسيمات، وتفادي كثرة التأويل والتقدير وذكر المسائل الخلافية. ويتفق النوعان في طريقة إيراد المواضيع وترتيب الأبواب؛ بحيث تكاد تتفق أغلب كتب النحو على التبويب الذي يبدأ بالمقدمات، ثم ينتقل إلى المرفوعات، ثم المنصوبات، ثم المحرورات، ثم التوابع.

يتضح من خلال المقارنة بين حضور الدرس النحوي في كل من التأليف النحوي التعليمي القديم والحديث، أن هناك بعض الفروقات التي يمكن أن يكون لها تأثير في مدى تحصيل المتعلم وتدوقه لمادة النحو، وتوظيف نتائجها في القراءة السليمة والفهم السليم والتعبير السليم، ومن تلك الفروق أسجل ما يلي:

أولاً - التأليف القديم يُقدّم النظرية النحوية للطلبة مرتبةً أبوابها وفق منهج وترتيب خاصين: (مقدمات، مرفوعات، منصوبات، محرورات)، في حين تُقدّم تلك الأبواب والمواضيع في التأليف التعليمي الحديث متداخلة مشتتة لا رابط بينها، وهذا الترتيب لا شك يتنافى مع التنظيم والتدرج والإحكام، ولا يخفى أثره السلبي على تحصيل المتعلم وتصوره للدرس النحوي العربي.

ثانياً - التأليف القديم يمكن المتعلم من امتلاك تصور واضح حول أبواب النحو، والتمييز بين ما يندرج ضمن المقدمات، وما ينتمي للمرفوعات، وما يدخل ضمن المنصوبات، وما يدخل تحت باب المحرورات. في حين يبقى هذا التصور في التأليف التعليمي الحديث غير واضح، نتيجة جعل مواضيع النحو مبعثرة غير مترابطة فيما بينها كما أشرت سابقاً.

خلاصة لكل ما سبق، يمكن القول: إن تدريس النحو يحتاج إلى عناية فائقة ويُستحسن أن يُراعى في تدريسه ما يلي:

أولا - التعامل مع النحو باعتباره نظرية متكاملة، وبناء متماسكا، لا يقبل التجزئ ولا يقبل التداخل في الترتيب.

ثانيا - أن هذه النظرية تقوم على ترتيب معين لمواضيعها وتبويب محكم لأبوابها؛ لذلك وَجِبَ التعامل معها على هذا الأساس، فلا يُقبل من ثمّ تنزيل مواضيعه في المقررات الدراسية تنزيلا عشوائيا مبعثرا.

ثالثا - يُفضّل تدريس النحو انطلاقا من كتب نحوية تعليمية أصيلة، ولعل أهم هذه الكتب (مقدمة الأجرومية لابن آجروم)، نظرا لاختصار مادتها، وبساطة قواعدها، وحسن ترتيبها³⁹.

رابعا - يُستحسن تدريس النحو باعتباره مادة مستقلة، بدل تدريسه مختلطا بمباحث الصرف حتى لا يختلط الأمر على المتعلمين، فلا يميز بين النحو والصرف والبلاغة.

ويستحسن تدريس النحو وفق الترتيب التالي:

- 1 - المقدمات: (تعريف الكلام وأقسامه وعلامات كل قسم - المعرب والمبني وعلامات الإعراب: المعرب والمبني من الأسماء، علامات الإعراب والبناء، الممنوع من الصرف، المعرب والمبني من الأفعال، نواصب المضارع وجوازمه - المعرفة والنكرة).
- 2 - دراسة باب المرفوعات، ويفضل توظيف مصطلح الجملة بالموازاة مع المصطلحات النحوية المعروفة، مثل المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول به... ويستحسن البدء بما يلي:

- الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) - كان وأخواتها - إن وأخواتها - ظن وأخواتها - الجملة الفعلية: الفاعل - نائب الفاعل.

- 3 - دراسة باب المنصوبات، وتشمل ما يلي:

- المفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، والمستثنى، والمنادى.

- 4 - باب المجرورات والتوابع، وتشمل ما يلي:

- المجرور بالحرف والمجرور بالإضافة - التوابع: النعت، والعطف، والتوكيد، والبدل.

إن هذا الاقتراح يتعلق أساسا بطريقة تنزيل مواضيع النحو وفق الترتيب الذي اختاره النحويون؛ لأنه ترتيب يساعد على استيعاب النحو بيسر، أما ما يخص الطرق والأساليب الديدانكتيكية، فإن كل مدرس حر في اختيار الطريقة التي يراها مناسبة، ولا شك أن التقدم الحالي، سيزود المعلم بطرق ووسائل حديثة تساعده على التبسيط أكثر مما توفّر للمعلمين قديما، وبهذا نكون قد جمعنا في تدريسنا للنحو بين حسنات التأليف القديم وإيجابيات تقدم التعليم الحديث، وزوّدنا المتعلم بالحد الأدنى من المعرفة

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

النحوية التي لا يعذر أحد بجهلها، والتي ستؤهلها لامتلاك القدرة الكافية على القراءة السليمة والفهم السليم والتعبير السليم كتابة وشفاهة.

- ¹ نستحضر هنا بعض المقالات التي تعالج مشاكل تدريس النحو، مثل مقال شريف محمد جابر (مشكلات تدريس النحو العربي وعلاجها) المنشور بموقع شبكة الألوكة بتاريخ 2012/11/11، عنوان الموقع: [/https://www.alukah.net/literature_language/0/46327](https://www.alukah.net/literature_language/0/46327)
- ² وبما أن الكتب التعليمية الموجهة للمتعلمين في المدارس تختلف من دولة إلى أخرى، فقد اعتمدت على نماذج من المقررات الموجهة للمتعلم المغربي لأنها هي التي توفرت لدي، وبناء عليها يمكن أن يقارن القارئ في كل الأقطار العربية بين ما يوجد في دولته من نماذج وما قرره المنهجية القديمة في التأليف النحوي التعليمي.
- ³ النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1996، ص: 8
- ⁴ سر صناعة الإعراب، لابن جني، دراسة وتحقيق حسن هندواي، دار القلم دمشق، ط2-1993، ص: 9
- ⁵ المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، ابن جني، تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف، ط1-1954
- ⁶ رسالة أسباب حدوث الحروف، للشيخ الرئيس ابن سينا، تح محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت
- ⁷ حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفين ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، تح طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، د.ت 49/1
- ⁸ تعليم النحو العربي عرض وتحليل، علي أبو المكارم، دار الثقافة العربية، 1993، ص: 24-25، وانظر مقدمة النحو الوظيفي، عبد العليم إبراهيم
- ⁹ تعليم النحو العربي، علي أبو المكارم، ص: 53 (مرجع سابق)
- ¹⁰ النحو التعليمي، محمود سليمان ياقوت، ص: 8 (مرجع سبق ذكره)
- ¹¹ الأصول في النحو لابن السراج، تح عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط3-1996. 37/1
- ¹² المرجع نفسه 328/1
- ¹³ شرح الآجرومية في أصول علم العربية، خالد الأزهرى (ت905)، باعتناء نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة تونس، مطبعة تونس قرطاج، ط1-2012، ص: 11
- ¹⁴ تعليم النحو العربي، علي أبو المكارم، ص: 34 (مرجع سابق)
- ¹⁵ التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، 2003، ص: 81
- ¹⁶ المقتضب للمبرد (ت275هـ) تح محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف القاهرة، 1399هـ، 1/1
- ¹⁷ التحفة السنية، ص: 66 (مرجع سابق)
- ¹⁸ بل إن التعليل يصل في بعض المصنفات العلمية إلى محاولة تعليل كل ظاهرة لغوية، كما هو حال الزجاجي الذي حاول تعليل القسمة الثلاثية للكلام، وتعليل أيهما أسبق الكلام أم الإعراب؟ وتعليل وقوع الإعراب آخر الاسم بدل أوله أو وسطه، وتعليل أيهما أسبق في الرتبة والتقدم، الاسم أم الفعل أم الحرف؟ وتعليل ثقل الفعل وخفة الاسم، وتعليل عدم دخول الجزم الاسماء، وعدم دخول الخفض الأفعال... (راجع كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي)
- ¹⁹ مثل المقرب لابن عصفور (669ت) تحقيق صلاح سعد محمد المطيلي، دار الآفاق العربية القاهرة، ط1 2006. ، ص: 147
- ²⁰ تلقين المتعلم من النحو، ابن قايبة النحوي (ت276)، تح عبد الله الناصير، المكتب الإسلامي، ط1-1993، ص: 85
- ²¹ شرح المفصل للزمخشري تأليف ابن يعش قدم له ووضع هوامشه وفهارسه اميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط1-2001.، 223-222/1
- ²² ألف خلف الأحمر -الذي توفي في السنة نفسها التي توفي فيها سيبويه 180هـ- كتابا نحويا تعليميا سماه (مقدمة في النحو)
- ²³ الأسس المنهجية لتبويب النحو العربي، احمدية العوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-2015...، ص: 268
- ²⁴ تبويب ابن السراج في أصوله: مقدمة عن الكلام والإعراب والبناء، الاسماء المرتفعة، الاسماء المنصوبات، الجر والاسماء المجرورة.
- ابن مالك في ألفيته: بعد مقدمة عن الكلمة وأقسامها والإعراب والبناء والمعرفة والنكرة، الابتداء وما يتعلق به من النواسخ، الفاعل، نائب الفاعل، المفاعيل والحال والتمييز أي المنصوبات، حروف الجر والإضافة.
- ابن هشام في شذور الذهب: الكلمة وأقسامها، الإعراب والبناء، النكرة والمعرفة، باب المرفوعات، باب المنصوبات، باب المجزورات، باب المجوزمات، باب عمل الفعل، باب التوابع،

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

ابن آجروم في مقدمته: باب الكلام وما يتألف منه، باب الإعراب وعلاماته والمعربات، باب الأفعال، باب مرفوعات الاسماء ثم التوابع، باب منصوبات الاسماء، باب مخفوضات الاسماء.

²⁵ كتاب الحيوان للجاحظ، تح عبد السلام هارون، المجمع اعلمي العربي الإسلامي-بيروت، 3-1969، 38/1

²⁶ المستوفى في النحو، لكamal الدين أبي سعد علي بن مسعود الفرخان، تح محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية القاهرة، 1987، ج1، ص3

²⁷ البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بسلك التعليم الابتدائي، الصيغة النهائية 2011، مديرية المناهج، المملكة المغربية

²⁸ الجريدة الرسمية، العدد: 6805، 17 ذو الحجة 1440-19 غشت 2019، ص: 5632.

²⁹ المصدر نفسه والصفحة نفسها.

³⁰ الجديد في اللغة العربية، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، فريق التأليف أحمد أوقاسم (منسق أعمال الفريق)، 2019

³¹ المنير في اللغة العربية، السنة الخامسة الابتدائية، فريق التأليف، رحال درسي (منسق الفريق)، دار النشر سوماكرام، 2020

³² في رحاب اللغة العربية، السنة السادسة من التعليم الابتدائي، فريق التأليف، الحسين بادو (منسق الفريق)، مكتبة السلام الجديدة، 2020

³³ المختار في اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم الثانوي الإعدادي، فريق التأليف، عثمان الميلود (منسق الفريق) د.ت

³⁴ المرجع في اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، فريق التأليف، مصطفى عسو (منسق الفريق)، الدار المغربية للكتاب، الدار البيضاء، 2020

³⁵ المختار في اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، فريق التأليف، عثمان الميلود (منسق الفريق)، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، ط8، 2014

³⁶ المستوفى في النحو، لكamal الدين أبي سعد علي بن مسعود الفرخان، تح محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية القاهرة، 1987، ج1، ص3

³⁷ معي (سيرة ذاتية)، شوقي ضيف، مكتبة الأسرة، 2003، ص: 65.

³⁸ المرجع نفسه، ص: 66.

³⁹ مع إمكانية إدخال بعض التعديلات على مستوى الترتيب الداخلي كما بينت في المطلب الأول من البحث الثاني.

قائمة المراجع والمصادر:

الكتب:

ابن السراج (1996) الأصول في النحو، تح عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط3

ابن جني (1954) المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف، ط1

ابن جني (1993) سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هندراوي، دار القلم دمشق، ط2

ابن سينا (د.ت) رسالة أسباب حدوث الحروف، تح محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

ابن عصفور مثل المقرب (2006) تحقيق صلاح سعد محمد المطيلي، دار الآفاق العربية القاهرة، ط1

ابن قتيبة النحوي (1993) تلقين المتعلم من النحو، تح عبد الله الناصير، المكتب الإسلامي، ط1

ابن يعيش (2001) شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه اميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط1

أحمد أوقاسم وآخرون (2019) الجديد في اللغة العربية، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مكتبة السلام الجديدة، الدار البيضاء

- احميدة العوني (2015) الأسس المنهجية لتبويب النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1
- الجاحظ (1969) كتاب الحيوان، تح عبد السلام هارون، المجمع اعلمي العربي الإسلامي-بيروت، ط3
- الحسين بادو وآخرون (2020) في رحاب اللغة العربية، السنة السادسة من التعليم الابتدائي، مكتبة السلام الجديدة، الدار البيضاء
- خالد الأزهرى (2012) شرح الآجرومية في أصول علم العربية، باعتناء نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة تونس، مطبعة تونس قرطاج، ط1
- رحال درسي وآخرون (2020) المنير في اللغة العربية، السنة الخامسة الابتدائية، دار النشر سومماكرام شوقي ضيف (2003) معي (سيرة ذاتية)، مكتبة الأسرة
- الصبان (د.ت) حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفين ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، تح طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية
- عثماني الميلود وآخرون (2014) المختار في اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، ط8
- عثماني الميلود وآخرون (د.ت) المختار في اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم الثانوي الإعدادي
- علي أبو المكارم (1993) تعليم النحو العربي عرض وتحليل، دار الثقافة العربية
- كمال الدين أبي سعد علي بن مسعود الفرخان (1987) المستوفى في النحو، تح محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية القاهرة
- المبرد (1399هـ) المقتضب تح محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف القاهرة
- محمد محي الدين عبد الحميد (2003) التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، المكتبة العصرية بيروت
- محمود سليمان ياقوت (1996) النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت
- مصطفى عسو وآخرون (2020) المرجع في اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، الدار المغربية للكتاب، الدار البيضاء
- الوثائق:**
- الحكومة المغربية (2019) الجريدة الرسمية، العدد: 6805، 17 ذو الحجة 1440-19 غشت 2019
- وزارة التربية الوطنية (2011) البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بسلك التعليم الابتدائي، الصيغة النهائية 2011، مديرية المناهج، المملكة المغربية
- مواقع الأنترنت:**

شريف محمد جابر (2012) مشكلات تدريس النحو العربي وعلاجها، مقال منشور بموقع شبكة الألوكة بتاريخ 2012/11/11، عنوان الموقع: https://www.alukah.net/literature_language/0/46327

LIST OF REFERENCES AND SOURCES IN ROMAN SCRIPT

- abn alsiraj (1996) al'usul fi alnahwi, th eabd alhusayn alftly, muasasat alrisalat`` t3
- abn jini (1954) almunsif sharah kitab altasrif lilmazini, taha 'iibrahim mustafaa waeabd allah' amin, wizarat almuearif, t1
- abn jiniy (1993) siru sinaeat al'iierabi`` dirasatan watahqi hasan hindawi, dar alqulam dimashq, t2
- abn sina (dt) risalat 'asbab huduth alhuruf, th muhamad hisan altayan wayahyaa mir elm, matbueat majmae allughat alearabiat bidimashq
- abn esfwr mithl almuqarab (2006) tahqiq salah saed muhamad almtili, dar alafaq alearabiat alqahirt, t1
- abn qatibat alnahwi (1993) talaqiyn almutaealim min alnahwi, tah eabd allah alnnasir, almaktab alaslamy, t1
- abn yaeish (2001) sharah almufsil lilzamkhasharii, qadam lah wawade hawamishih wafaharisah 'iimil badie yaequba, manshurat muhamad eali baydun dar alkutub aleilmiat bayrut t1
- 'ahmad' awqasim wakharun (2019) aljadid fi allughat alearabiat, alsanat alrrabieat min altaelim alaibtdayy, maktabat alsalam aljadidat, aldaar albayda'
- ahmida aleawni (2015) al'usus almanhajat litabwib alnahw alearabii, Dar alkutub aleilmiatu, bayrut, t1
- aljahiz (1969) kitab alhayawan, tah eabd alsalam harun, almjme aelamaya alearabiu al'islamy-byrwt, t3
- alhusayn badu wakharun (2020) fi rahab allughat alearabiat, alsanat alsadisat min altaelim alaibtdayy, maktabat alsalam aljadidat, aldaar albayda
- khalid al'azhari (2012) sharah alajurumiat fi 'usul eilm alearabiat, biaietina' nizar hamadi, dar al'imam abn eurfat tunis, mutbaeat tunis qrtaj, t1
- rahal dursiin waliakharun (2020) almunir fi allughat alearabiat, alsanat alkhamisat alaibtdayyat, dar alnashr swmakram
- shawqi dayf (2003) maei (syrt dhaty), maktabat al'usra
- alsaban (dt) hashiat alsabban sharah al'ushmunu ealaa 'alfayn abn malik wamaeah sharah alshawahid lileini, tah th eabd alrawwf saeid, almaktabat altwfyqy
- eathmani almaylud wakharun (2014) almukhtar fi allughat alearabiat, alsanat alththalithat min altaelim alththaniwii al'iiedadi, maktabat almadaris, aldaar albayda ', t8
- eathmani almaylud wakharun (dt) almukhtar fi allughat alearabiat, alsanat al'uwlaa min altaelim alththanwii al'iiedadii

Methodological Problems About Writing Educational Grammar, In The Past And Present

eali 'abu almakarim (1993) taelim alnaww alarabii earad watahlil, dar althaqafat alarabia

kamal aldiyn 'abi saed eali bin maseud alfurkhan (1987) almustawfaa fi alnaww, taha muhamad bidawii almakhtun, dar althaqafat alarabiat alqahr

almubrid (1399h) almuqtadab taha muhamad eabd alkhaliq eadimat, wizarat al'awqaf alqahr

muhamad muhia aldiyn eabd alhamid (2003) althfat alsuniyat bisharh almuqadamat al'ajrumiit, almaktabat

mahmud sulayman yaqut (1996) alnaww altaelimia waltatbiq fi alquran alkarim`` maktabat almanar al'iislatiyyat, alkuayt

mustafaa eusuin wakharun (2020) almrje fi allughat alarabiat, alsanat alththaniyat min altaelim alththaniwii al'iiedadi, aldaar almaghribiat lilkitab, aldaar albayda '



JOURNAL INDEXING

مَجَلَّةُ التَّرَاثِ

AL TVRATH Journal (ALTJ)

ثلاثية، دولية، دورية، محكمة، تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية

متعددة التخصصات، متعددة اللغات

Trimestral, International, Periodic And Arbitrated Manner, Devoted To Human And Social Studies

Multidisciplinary, Multilingual.

LEGAL DEPOSIT: 2011- 1934

ISSN: 2253-0339

E-ISSN: 2602-6813



TOGETHER WE REACH THE GOAL



Scientific Indexing Services



ScienceGate Academic Search Engine



الكشاف العربي
للإستشهادات المرجعية